رصيف RACIF

- مجلة ثقافية، اجتماعية، اقتصادية، جامعة العدد 1 السنة الاولى 1988 الثمن 7 دراهم

من يوم الأرض إلى ثورة الحجارة

- مناظرة القطاع العام والقطاع الخاص
- إبداعات
- الأورام السرطانية
- التجريب أفقنا المسرحي المشترك
- كأس أفريقيا للأمم والعمق الحضاري

الأحـواز... ذاكـرة الشعب وهوية الأرض

عاش العرب في إقليم الأحواز منذ فترة تاريخية موغلة في القدم تعود إلى أربعة آلاف سنة قبل الميلاد في ظل الدولة العيلامية السامية والتي كانت عاصمتها مدينة (سوس) العربية في الأحواز والتي مازالت آثارها باقية إلى يومنا هذا.

وفي القرن الأول الميلادي حلت الامبراطورية الرومانية محل سابقتها الامبراطورية المقدونية اليونانية، فكان العراق والأحواز وأجزاء كبيرة من بلاد فارس، ولايات وإمارات رومانية، وبعد اضمحلال روما وانقسام امبراطوريتها عاد الفرس الساسانيون إلى غزو العراق والأحواز في القرن الثالث الميلادي واتبعوهما إلى امبراطوريتهم. ولكن ظلت ذاكرة الشعب وهوية الأرض عربية خالصة شأنها شأن شبه الجزيرة العربية وشواطىء الخليج والعراق وبادية الشام.

وقبل الاسلام نزحت قبائل عربية أخرى من قلب شبه الجزيرة العربية في موجة زحفها نحو أطراف الجزيرة، ومن اشهر هذه القبائل بنوا العم - مالك وكليب - واستقرت في إقليم الأحواز وساعدت جيوش العرب المسلمين في القضاء على الهرمزان سنة 17 للهجرة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، بعد أن انسحب الهرمزان إلى الأحواز بعد معركة القادسية الخالدة.

وفي سوق الأحواز نشبت المعركة بين الهرمزان الهارب من جهة وخرسان العرب والأساورة كان النصر فيها حليف العرب المحررين واستسلم الهرمزان الدي بقي في الأحواز حتى مماته.

وبعد أن سقطت الدولة العباسية في مطلع القرن السادس عشر الميلادي تعرض الوطن العربي بما فيه إقليم الأحواز الذي كان تابعا للحكم العباسي، للغزو الأوربي والتركي الفارسي، غير أن الأحواز ظلت طيلة هذه الفترة متمردة ضد الاحتلال والاستعمار بين أكبر القوى الاستعمارية في العالم آنذاك. فالبرغم من سيطرة العثمانيين على العراق وسيطرة البرتغاليين فالهولنديين ثم الانكليز على شواطىء الخليج العربي الغربية والشرقية، وعلى الرغم من أطماع فارس ومؤامراتها وهجماتها احتفظت الأحواز وحدها في هذا المعترك المضطرب بعروبتها واستقلالها فشهدت حكم الامارات العربية المستقلة كأمارة المشعشعيين العربية (إمارة الحويزة) التي استمر حكمها زهاء خمسمائة عام، واستطاعت هذه الدولة إبعاد إقليم الأحواز عن النفوذ العثماني والفارسي، وحين حاول الصفويون احتلال بغداد، طلبوا المعونة العسكرية من الدولة المشعشعية على أساس أن الدولة العثمانية عروتها المذهبية. وكان الأمير المشعشعي منصور رفض بكل جرأة طلب الشاه الصفوي ومساعدته في احتلال بغداد، وبعد هزيمة الصفويين وقعت معاهدة 1649 م بينهم وبين العثمانيين، واعترفت هاتان الدولتان في هذه المعاهدة باستقلال الدولة المشعشعية التي استمر حكمها إلى سنة 1724 م بعد أن استطاعت امارة بني كعب العربية مَدَّ نفوذها إلى نواحي إقليم الأحواز.

وبعد ضعف الدولتين العثمانية والفارسية، بدأت بريطانيا تشق أقدامها في هذه المنقطة واتخاذها قاعدة لمواجهة التقدم الروسي في بلاد فارس، واستثمار المناطق الغنية الواقعة على أجانبي حوض الكارون، وفتحت نهر الكارون للملاحة والتجارة وذلك في سنة 1888 م، وبذلك دخلت هذه المنطقة عهدا جديدا في تاريخ العلاقات الدولية ووقعت تحت تأثيرات خارجية عجزت عن صدها، فقد أصبحت مرافق المحمرة تحت إشراف بريطاني مباشر ووقعت مواردها تحت السيطرة البريطانية وأسست لهذه الغرض وكالة قنصلية بريطانية سنة 1890 م ثم حولت إلى قنصلية.

وفي 28 مارس سنة 1901 حصلت بريطانيا على امتياز النفط ثم أنشأت معملا لتكرير النفط في عبادان وطلبت السماح من إمارة كعب على مرور النفط في أراضيها مقابل تعهدها بتأييد استقلالها ومساعدتها عسكريا إذا تعرض استقلالها للخطر. وحين اندلعت الحرب العالمية الأولى أعطت بريطانيا أكثر من تعهد لأمير المحمرة بالدفاع عنه مقابل مساعدته لبريطانيا في الحرب.

وبعد الحرب العالمية الأولى وتمكن رضاخان من السيطرة على الحكم في بلاد فارس بدأ يفكر في القضاء على إمارة المحمرة والشيخ خزعل بعد أن علا شأنه نتيجة إنضواء القبائل العربية لسلطته وترشيحه لعرش العراق، يقول رضاخان في مذكراته : «من الضروري القضاء على أمير عربستان الذي استمر أعواما طويلة يعيش أميرا مستقلا داخل حدود إمارته وليس لحكومة طهران أي سلطان عليه».

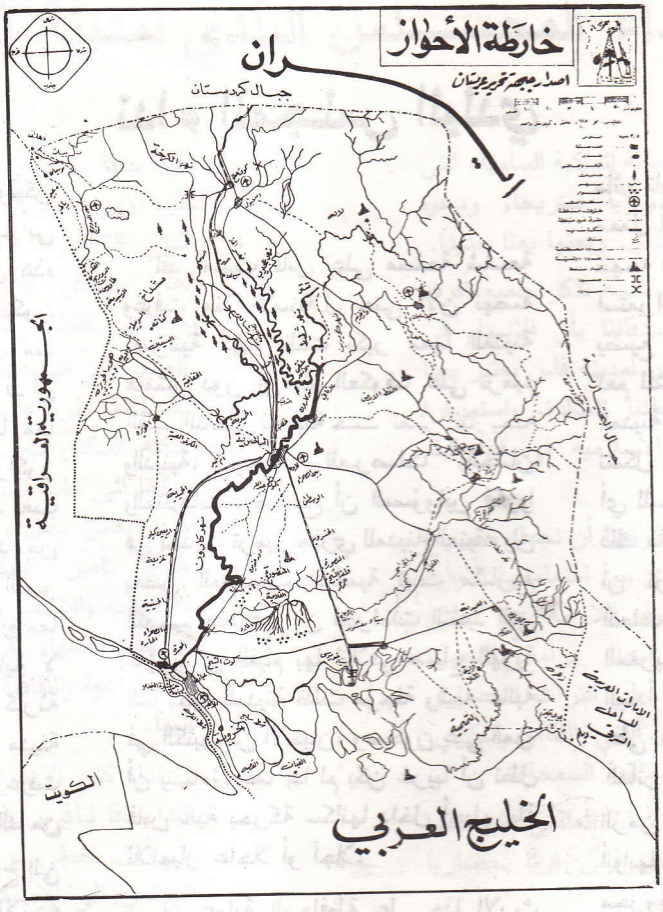

ولما شعر الشيخ خزعل بنوايا رضاخان، أخذ يعدّ العدة للوقوف بوجه خطره الداهم، وكان يطمح في الانكليز الوفاء بتعهداتهم وتقديم المساعدة العسكرية له، لكن بريطانيا نقضت كل عهودها بعد أن وجدت أن مصلحتها تتطلب تغيير سياستها وشد أزر رضاخان من أجل بسط سيطرتها على سياسة إيران بشكل يضمن استمرار مصالحها في إيران والخليج العربي.

وانتهز رضاخان موقف بريطانيا المتخاذل فطلب منها التخلي عن حماية الاقليم ليتمكن من احتلاله عسكريا وضمه إلى مملكته وقد استجابت بريطانيا له متخلية عن كل عهودها، كما عمدت إلى قطع اتصالات هذا الاقليم مع العشائر العراقية العربية في العراق الذي كان تحت انتدابهم.

بعدها أمر رضاخان بتشكيل حكومة عسكرية برئاسة الجنرال فضل الله خان زاهدي على أساس أن المنطقة احتكمت عسكريا، واعلنت الأحكام العرفية، ثم عمدت الحكومة الفارسية إلى الخديعة والمكر لاعتقال الشيخ خزعل، إذ أعلن زاهدي أنه تلقى أمرا بالانسحاب من أراضي الاقليم وكان الشيخ خزعل وقتها في البصرة، وعندما عاد إلى المحمرة قابل المعتمد البريطاني السياسي للوقوف على صحة ما أدلى به زاهدي، فأكد له المعتمد البريطاني صحة النبأ، عندئذ طلب زاهدي إقامة حفلة ساهرة لوداعه فلبى الشيخ خزعل هذا الطلب، وأقيمت الحفلة في يخت الشيخ مخزعل في شط العرب في 1925/4/20 وهناك اعتقل هو وابنه عبد الحميد حيث سيقا إلى طهران وسجنا هناك. وبقي الشيخ خزعل سجينا حتى توفي في 1936/3/26. ويعلق الكاتب الفرنسي جان جان بيزي على وفاته بالقول : «مات الشيخ خزعل في طهران محاطا بكل مظاهر الشرف ومحروما في الوقت ذاته من كل حقوقه كأمير مستقل. أما أراضيه فقد ضُمَّت إلى الامبراطورية الفارسية واضطرت الشركات الانكليزية للتعامل بعد ذلك مع حكومة طهران».

وبعد الاحتلال الفارسي لأرض الأحواز العربية تدفق المهاجرون الايرانيون إلى الاستيطان في هذا القطر العربي، وعلى الرغم من الهجرة الايرانية المكثفة ظل العرب سكان الأقليم الأصليين وقد بلغ عددهم حسب إحصاء 1962 أكثر من 3 مليون نسمة، في حين بلغ عدد الايرانيين الذي استوطنوا هذا الاقليم منذ 1925 لا يزيدون عن 1 مليون نسمة.

إن تاريخ الأحواز : أرضا وشعبا يؤكد عروبة هذا الاقليم الذي اقتطع عذرا من جسد الأمة العربية والذي يدل دلالة تاريخية على مدى النوايا والأطماع التوسعية لنظام طهران فمن الشاه إلى خميني يبقى الهاجس واحدا في احتلال الأرض العربية وإخضاعها سلطة طهران. وقد كشفت سنوات العدوان الثمان ضد أرض العراق العربية، حقيقة هذه الأطماع وإتساعها باتجاه عموم منطقة الخليج العربي.